بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل لعلم القراءات:

❖ القراءات:

تعريف القراءات:

القراءات لغة: جمع قراءة، وهي مصدر قرأ قراءة وقرآنًا بمعنى: تلا تلاوة.

واصطلاحًا: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة".

موضوع علم القراءات:

دراسة ما نقل من الخلاف الأصولي والفرشي في الكلمات القرآنية؛ من حيث أحوال النطق بها وكيفية أدائها.

توضيح بعض المصطلحات القرآنية:

١- القراءة: كل خلاف نُسب إلى إمام من أئمة القراءات مما أجمع عليه الرواة عنه، نحو نافع وابن كثير وأبي عمرو وعاصم ...

٢- الرواية: كل خلاف نُسب إلى الآخذ عن إمام من أئمة القراءة ولو بواسطة. بواسطة نحو: رواية الدوري عن أبي عمرو، بواسطة يحيى اليزيدي. وبغير واسطة نحو: رواية حفص عن عاصم.

٣- الطريق: كل خلاف نسب إلى الآخذ عن الراوي وإن سفل، نحو: طريق الأصبهاني لرواية ورش، وطريق عبيد بن الصباح لرواية حفص.

فإن نسب الخلاف إلى الإمام يقال: قراءة، وإن نسب إلى أحد راوييه يقال: رواية، وإن نسب إلى تلميذ الراوي أو من اشتهر بنقل روايته يقال: طريق.

٤- الوجه: هو ما يكون من قبيل الخلاف الجائز والمباح؛ كأوجه الوقف على المد العارض للسكون، بالسكون المحض أو بالإشمام أو بالروم، وبالقصر أو بالتوسط أو بالطول.

والأوجه الاختيارية لا يقال لها: قراءات، ولا روايات، ولا طرق؛ بل يقال لها: أوجه دراية فقط، والقارئ مخير في الإتيان بأي وجه منها، وغير مُلزَم بالإتيان بها كلها، فلو أتى بوجه واحد منها أجزأه.

٥- الأصول: جمع أصل، وهو لغة: ما ينبني عليه غيره.

واصطلاحًا: كل حكم كلي جارٍ في كل ما تحقق فيه شرطه كصلة هاء الضمير، وصلة ميم الجمع، والمدود، والفتح والإمالة ... .

والأصول الدائرة على اختلاف القراءات سبعة وثلاثون أصلًا.

٦- الفرش: مصدر فرش بمعنى: نشر وبسط.

واصطلاحًا: ما كان من خلاف غير مطرد في حروف القراءات مع عزو كل قراءة إلى صاحبها؛ كالخلاف في قراءة: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} حيث تقرأ كلمة "مالك" بحذف الألف وبإثباتها.

علاقة القراءات بالقرآن الكريم:

القرآن هو عين القراءات المتواترة وبالعكس، فهما حقيقتان بمعنى واحد.

أما القراءات الشاذة فهي غير القرآن، وبينهما تغاير كلي، فهما حقيقتان متغايرتان.

عَلاقة القراءات العشر بالأحرف السبعة:

القراءات العشر هي بعض الأحرف السبعة المنزلة.

مكانة علم القراءات:

علم القراءات أشرف العلوم منزلة، وأرفعها مكانة، وهو مصدر جميع علوم العربية عمومًا، وعلوم الشريعة خصوصًا، يحتاج إليه: المقرئ، والمفسر، والمحدِّث، والفقيه، واللغوي على السواء.

فبالقراءات ترجح بعض الأوجه التفسيرية، وبعض الأحكام الفقهية، ومنها تتجلى وجوه إعجاز القرآن الكريم، ويبرز سمو بلاغته، واشتمال القرآن الكريم على القراءات المتعددة ميزة لا نظير لها في الكتب السماوية السابقة.

نشأة القراءات وتطورها:

بدأ نزول القراءات مع بداية نزول القرآن الكريم بمكة المكرمة؛ حيث توجد القراءات في السور المكية؛ ولكن الحاجة لم تدعُ إلى استخدامها لوَحْدَة اللغة واللهجة بمكة وما جاورها، خلافًا لما حدث بعد الهجرة؛ حيث دخلت في الإسلام قبائل مختلفة اللهجات واللغات.

المراحل التي مرت بها القراءات

١- تعليم جبريل للرسول -صلى الله عليه وسلم- قال تعالى: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}.

هكذا علَّمه جبريل القرآن الكريم بأحرفه المختلفة وقراءاته المتعددة.

٢- تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابة. كما أقرأه جبريل عليه السلام.

٣- تعليم الصحابة بعضهم لبعض. أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – الصحابة أن يقرئ بعضهم بعضاً.

٤- تعليم الصحابة للتابعين، انتشر الصحابة في الأمصار، وتفرقوا فيها، وبدءوا يُقْرِئون الناس القرآن حسبما تلقوه من الرسول -صلى الله عليه وسلم- ومن ثَمَّ اختلف النقل في التابعين وفي تلاميذهم، فكثرت القراءات وظهر الشذوذ فيها، وكثر النزاع بين المسلمين فيها، حتى بلغ ذلك عثمان -رضي الله عنه- فأمر بجمع المصاحف وكتابتها برسم يحتمل أكثر وأغلب الأوجه الصحيحة المتواترة، وأرسلها إلى المدن المشهورة مع إرسال مقرئ مع كل مصحف توافق قراءته أهل ذلك المصر في الأغلب والأكثر، وحمل الناس على تلك المصاحف وأمر بإلغاء بقية الأوجه التي لا يحتملها رسم مصحف ذلك القطر.

٥- وبعدما كثر أهل البدع والأهواء، وبدءوا يقرءون بقراءات لا أصل لها -كما نُقل عن بعض المعتزلة والروافض- تجرد قوم للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية؛ حتى صاروا أئمة يُقتدى بهم في ذلك ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم، وأجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول، ولم يختلف عليهم فيها اثنان، ولتصديهم للقراءة نُسبت إليهم.

٦- مرحلة التدوين في القراءات:

لقد بدأ التأليف في علم القراءات منذ عصر مبكر؛ حيث كان القرآن الكريم وتلاوته شغلهم الشاغل عن كل شيء، حتى كان بعضهم يُفضِّل تعلم القرآن وتعليمه على الجهاد في سبيل الله؛ إلا أن المؤرخين مختلفون في تعيين أول مَن ألَّف في القراءات.

والراجح: أن الإمام يحيى بن يعمر "ت٩٠ أو ٨٩هـ" هو أول مَن ألَّف في القراءات.

وعلى هذا نعتبر أن حركة التدوين في القراءات بدأت منذ أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، ولو بصورة غير علمية أو غير فنية. ثم أخذت تتطور في القرن الثالث.

وبلغت ذورة ازدهارها في القرنين الرابع والخامس، ثم أخذت تنحسر ابتداءً من القرن السادس حتى القرن الثامن، وفي القرن التاسع لا نجد سوى بعض مصنفات تكاد تُعد على الأصابع، وبعد القرن التاسع قَلَّ التصنيف في هذه المادة العلمية، وكانت جهود العلماء تكاد تكون مقصورة على شرح منظومة الإمام الشاطبي "ت٥٩٠هـ". ولعل السبب في ذلك يرجع إلى قلة المشتغلين بهذه المادة العلمية؛ نظرًا إلى عزوف الناس عن تلقيها استصعابهم إياها.

وممن ألَّف في القراءات من أئمتها المشهورين من القراء العشرة أو تلامذتهم ورواتهم:

١- أبو عمرو بن العلاء "ت١٥٤هـ".

٢- حمزة بن حبيب الزيات "ت١٥٦هـ".

٣- علي بن حمزة الكسائي "ت١٨٩هـ".

٤- يعقوب بن إسحاق الحضرمي "ت٢٠٥هـ".

٥- خلف بن هشام البزار "ت٢٢٩هـ".

٦- عبد الله بن أحمد الدمشقي المعروف بابن ذكوان "ت٢٤٢هـ".

٧- أبو عمرو حفص الدوري "ت٢٤٦هـ".

وقد تتابع التأليف في هذا العلم المبارك حتى وصل إلى عصر ابن مجاهد إلى أكثر من أربعين كتابًا.

٧- ظهور فكرة تحديد القراءات:

ظهرت فكرة تحديد القراءات منذ القرن الثالث الهجري؛ حيث ألف الإمام أحمد بن جبير "ت٢٥٨هـ" كتابًا في القراءات وسماه "الخمسة"، وكتب غيره كتابًا وسماه "الثمانية"٢؛ ولكن لما كثر القراء وكثرت الروايات عنهم، وأوشك أن يدخل الاضطراب في القراءات فكر الإمام ابن مجاهد "ت٣٢٤هـ" أن يستخلص قراءات القراء المشهورين بها من أشهر الأمصار الإسلامية التي حملت القراءات عنها. والأمر الذي دعاه إلى ذلك هو:

الحفاظ على منهج القراءات لئلا تخرج عن طريق النقل الموثوق به إلى النقل المشكوك فيه، أو عن طريق الرواية والنقل عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى طريق الاجتهادات الشخصية.

٨- مرحلة تسبيع السبعة:

أي: الاقتصار على القراءات السبع المشهورة، والمروية من الأئمة الثقات في مؤلَّف خاص، بعد تنقيحها والتثبت من تواترها وقبولها لدى الخواص والعوام.

وكان ذلك في القرن الرابع الهجري باختيار إمام القراءات في عصره الإمام أبي بكر بن مجاهد البغدادي "ت٣٢٤هـ" حيث جمع قراءات القراء السبعة في مؤلَّف وسماه "السبعة".

والقراء الذين وقع اختيار ابن مجاهد على قراءاتهم هم:

١- نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم "ت١٦٩هـ" من المدينة.

٢- عبد الله بن كثير "ت١٢٠هـ" من مكة.

٣- أبو عمرو بن العلاء "ت١٥٤هـ" من البصرة.

٤- عبد الله بن عامر اليحصبي "ت١١٨هـ" من الشام.

٥- عصام بن أبي النجود "ت١٢٧هـ" من الكوفة.

٦- حمزة بن حبيب الزيات "ت١٥٦هـ" من الكوفة.

٧- علي بن حمزة الكسائي "ت١٨٩هـ" من الكوفة.

كلهم ممن اشتهرت إمامته، وطال عمره في الإقراء، وارتحل الناس إليه من البلدان.

الأسس التي بنى عليها ابن مجاهد اختياره:

أ- أن تكون القراءة صحيحة السند، حملها رواة موثقون حتى زمن القارئ.

ب- أن تكون القراءة مطابقة لخط المصحف العثماني:

ج- أن تكون القراءة موافقة لوجه من وجوه العربية:

تقييم عمل ابن مجاهد:

أخذت القراءات تتكاثر وتزداد، حتى وصل بها بعضهم إلى خمسين قراءة، وأوشك ذلك أن يكون بابًا لدخول شيء من الاضطراب والتحريف على ألسنة القراء.

فجاء ابن مجاهد واجتهد للأمة والدين، والقرآن العظيم، وبالغ في اجتهاده حتى استصفى سبعة من أئمة القراء في أمصار خمسة، هي أهم الأمصار التي حملت عنها القراءات إلى العالم الإسلامي: "المدينة، مكة، الكوفة، البصرة، الشام".

وبذلك أصبح القراء المختارون عنده سبعة، وفي قراءاتهم ألف كتابه "السبعة"، وهو عمل أجمع معاصروه ومَن جاء بعده على إجلاله.

وقد اختار ابن مجاهد ما اختاره من القراءات؛ لأنه أراد البلاد الإسلامية الشهيرة بالمقرئين، فاختار منها أضبط القراء -في رأيه- فصادف العدد "السبعة"، ولم يقصد العدد "السبعة" لذاته، فكان اقتصاره على السبعة محض اتفاق دون قصد منه، كما ظن البعض.

أما أن بعض العامة سبق إلى ذهنه أن ابن مجاهد اعتقد أن القراءات السبع هي الحروف السبعة، فهو ليس مسئولًا عن خطأ غيره أو وهمهم، ولو ظن ذلك لأبطل بقية القراءات، والواقع عكس ذلك؛ حيث إنه لم يحكم على بقية القراءات بعدم التواتر أو بالشذوذ؛ وإنما رآها وراء السبع في المرتبة.

وبهذا نرى أن ابن مجاهد وهب نفسه للوقوف على القراءات واستيعابها، ولم يفكر في أن يفرد لنفسه قراءة يشتهر بها وتُعرف به وتُحمل عنه، ولو فكر في ذلك لاستطاع في يسر وسهولة؛ ولكن لم تكن هذه وجهته؛ وإنما كانت وجهته أن يستخلص للأمة أهم القراءات الموثوقة التي شاعت وذاعت في الأمصار الإسلامية.

أركان القراءة الصحيحة "شروط قبول القراءات "

أجمعت الأمة على الأركان التالية لقبول القراءات:

١- أن تكون القراءة متواترة.

٢– أن تكون موافقة للعربية ولو بوجه.

٣– أن تكون موافقة لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا.

شَرْحُ هذه الأركان الثلاثة الأخيرة:

١– التواتر: هو نقل جماعة عن جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب، من أول السند إلى منتهاه، من غير تعيين في العدد.

٢– موافقتها لوجه من وجوه العربية: ويكتفي في ذلك بمجرد موافقتها لوجه من وجوه اللغة العربية.

٣– موافقتها لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالًا:

والمراد من موافقتها لأحد المصاحف: ما كان ثابتًا في بعضها دون بعض؛ كقراءة ابن عامر: "قالوا اتخذ الله ولدًا سبحانه" بغير واو قبل "قالوا"؛ لعدم وجودها في المصحف الشامي.

والمراد من جملة "ولو احتمالًا": ما يوافق الرسم ولو تقديرًا؛ لأن موافقة القراءات للرسم قد تكون تحقيقًا وصريحًا، وقد تكون تقديرًا واحتمالًا، مثل قوله تعالى: "ملك يوم الدين".

فقد كُتبت كلمة "ملك" في الفاتحة بدون ألف في جميع المصاحف، وقُرئت بإثبات الألف بعد الميم على وزن "فاعل"، وبدونها على وزن "فَعِل"، والقراءتان متواترتان.

فقراءتها بحذف الألف موافقة للرسم تحقيقًا. وقراءتها بالألف محتملة تقديرًا.

القراءات التي تتوفر فيها الشروط المتقدمة:

القراءات التي تتوفر فيها الشروط المتقدمة المتفق عليها عند الجمهور:

هي القراءات السبع التي تُنسب إلى الأئمة السبعة المشهورين، والقراءات الثلاث التي تنسب إلى كل من:

١– الإمام أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني ت١٢٨هـ.

٢– الإمام يعقوب بن إسحاق الحضرمي ت٢٠٥هـ.

٣– الإمام خلف بن هشام البزار البغدادي ت٢٢٩هـ.

أشهر الكتب المؤلفة في القراءات المتواترة:

١– "السبعة" لأبي بكر بن مجاهد "ت٣٢٤هـ" طبع بتحقيق: الدكتور/ شوقي ضيف.

٢– "التيسير في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني "ت٤٤٤هـ" طبع بتصحيح المستشرق: أوتوبرتزل.

٤– "تحبير التيسير" لابن الجزري "ت٨٣٣هـ" مطبوع.

٥- "حرز الأماني ووجه التهاني" المعروف بـ"الشاطبية" للإمام القاسم بن فيرة الشاطبي "ت٥٩٠هـ" مطبوع ومتداول.

٦- "فتح الوصيد" للإمام السخاوي "ت٦٤٣هـ"، وهو أول شرح

٧- "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري "ت٨٣٣هـ"، طبع في مجلدين بتصحيح الشيخ/ علي محمد الضباع، وبتحقيق الدكتور/ شعبان محمد إسماعيل.

٨- "طيبة النشر في القراءات العشر" لابن الجزري، منظومة في القراءات العشر الكبرى، مطبوع.

٩- "الدرة المضيئة في القراءات الثلاث" لابن الجزري، منظومة.

أمثلة لبعض القراءات المتواترة: من خلال سورة الفاتحة فقط:

١- قوله تعالى: "ملك يوم الدين". قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف بالألف "مالك" على وزن "فاعل". والباقون بدون ألف "مَلِك" على صيغة صفة مشبهة.

٢- كلمة "الصراط" المعرفة بـ"أل" و"صراط" غير المعرفة بـ"أل".

قرأ قنبل عن ابن كثير ورويس عن يعقوب بالسين الخالصة؛ حيث وقعتا في القرآن الكريم.

وقرأ خلف عن حمزة بإشمام الصاد بالزاء حيث وقعتا، وقرأ خلاد مثل خلف في الموضع الأول فقط وهو {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} في الفاتحة. والباقون بالصاد الخالصة في جميع القرآن ومعهم خلاد.

وكيفية الإشمام هنا: أن تخلط لفظ الصاد بالزاء وتمزج أحد الحرفين بالآخر، وهو المراد من الإشمام، ويكون النطق كنطق العوام لحرف الظاء.

٣- {عَلَيْهِمْ} قرأ ابن كثير وأبو جعفر وقالون في أحد وجهيه بضم ميم الجمع حالة الوصل مع وصلها بواو لفظًا، وهو ما يُسمى في عرف القراء "بالصلة". والباقون بإسكان الميم وصلًا ووقفًا.

وقرأ حمزة ويعقوب بضم الهاء وصلًا ووقفًا، والباقون بكسرها مطلقًا.

القراءات الشاذة:

تعريف الشاذ: لغة من الشذوذ بمعنى: الانفراد، وكل شيء منفرد فهو شاذ.

واصطلاحًا: الشاذة هي ما وراء القراءات العشر المتواترة.

زمن شذوذ القراءات:

القراءات شذَّت على مرحلتين:

أ- في العرضة الأخيرة وما قبلها، فالمنسوخ من القرآن حتى العرضة الأخيرة يعتبر شاذًّا.

ب– حين أمر عثمان –رضي الله عنه– بجمع المصاحف، وحمل الأمة عليها، فكل ما كان مع الصحابة من القرآن المنسوخ ولم يعلموا بنسخه، أو كان يُقرأ ولم يثبت تواتره فخالف رسم المصاحف العثمانية، كل ذلك يعتبر شاذًّا.

مدى حجبة القراءات الشاذة وحكم العمل بها:

أ– حكم القراءة بالشاذ:

الجمهور على عدم جواز القراءة بالشاذ للتعبد بها مطلقًا، لا في الصلاة ولا خارجها؛ بل نقل البعض إجماع المسلمين على ذلك.

ب– حكم العمل أو الاستشهاد بالقراءات الشاذة:

الجمهور على جواز العمل بها تنزيلًا لها منزلة أخبار الآحاد، وأخبار الآحاد مقبولة عند العلماء، يجوز العمل بها واستنباط الأحكام الشرعية منها.

هذا، ويجوز الاستشهاد بالقراءات الشاذة في القواعد النحوية والصرفية باتفاق العلماء.

ويجوز كذلك تعلمها وتعليمها نظريًّا لا عمليًّا، ويجوز تدوينها في الكتب وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب.

رواة القراءات الشاذة:

رواة القراءات الشاذة قسمان:

أ– الرواة الأربعة بعد العشرة؛ وهم:

١– الحسن البصري "ت١١٠هـ".

٢– محمد بن عبد الرحمن بن محيصن "ت١٢٣هـ".

٣– يحيى بن المبارك اليزيدي البغدادي "ت٢٠٢هـ".

٤– سليمان بن مهران الأسدي الأعمش "ت١٤٨هـ".

ب– رواة الشواذ عمومًا، وهم كثيرون، منهم كبار الصحابة والتابعين:

١– ابن مسعود رضي الله عنه "ت٣٢هـ".

٢– ابن الزبير رضي الله عنه "ت٧٣هـ".

٣ مسروق بين الأجدع الكوفي "ت٦٣هـ".

٤– نصر بن عاصم الليثي البصري "ت٩٩هـ".

٥– مجاهد بن جبر المكي "ت١٠٣هـ".

أمثلة لبعض القراءات الشاذة:

١- {فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}: قرأ مسروق بن الأجدع عن ابن مسعود: "فامضوا".

٢- {وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى}: رُوي عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه قرأ: "والذكر والأنثى".

٣- "كالصوف المنقوش" بدل {كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ} [القارعة: ٥] .

ومن الملاحظ أن معظم القراءات الشاذة إما غير متواتر أو غير موافق للرسم.

ولا يعتبر ورودها عن بعض العلماء طعنًا في شخصيته، ومكانته العلمية، وقد وردت قراءات شاذة عن بعض الأئمة العشرة الذين وصلتنا قراءاتهم بالتواتر، وذلك ما يؤكد أن العبرة ليست بالنظر إلى القارئ ومكانته؛ وإنما العبرة بمدى صحة الضابط والقانون الذي وضعه العلماء لمعرفة القراءة الصحيحة.

❖ رسم المصحف العثماني:

"الرسم" في اللغة: الأثر. ويراد بـ"الرسم" أثر الكتابة في اللفظ كذلك.

واصطلاحًا: تصوير كلمة بحروف هجائها، بتقدير الابتداء بها والوقوف عليها؛ لتتحول اللغة المنطوقة إلى آثار مرئية.

والمراد بالرسم العثماني: الوضع الذي ارتضاه عثمان -رضي الله عنه- في عهده في كتابة كلمات القرآن الكريم وحروفه، حينما أمر بنسخ المصاحف.

أقسام الرسم: الرسم ينقسم إلى قسمين:

أ- القياسي: وهو موافقة الخط اللفظ؛ كرسم كلمة: {نَسْتَعِينُ} .

ب- الاصطلاحي: وهو مخالفة الخط اللفظ؛ وذلك ببدل، أو زيادة، أو حذف، أو فصل، أو وصل، أو نحو ذلك.

المراد بالمصاحف العثمانية:

هي التي أمر عثمان -رضي الله عنه- في عهد خلافته بكتابتها لإجماع الأمة عليها، وإحراق ما سواها، وكان ذلك بعدما شاور المهاجرين والأنصار في ذلك، واتفق الجميع على ما رآه -رضي الله عنه-.

قواعد الرسم المصحفي:

لقد حاول العلماء حصر قواعد رسم المصحف في ست قواعد؛ وهي:

١/ الحذف. ٢/ الزيادة.٣/ الهمز. ٤/ البدل.٥/ الفصل والوصل.٦/ ما فيه قراءتان فيكتب على إحداهما.

فوائد الرسم العثماني:

١- الدلالة على القراءات المختلفة المتنوعة في الكلمة بقدر الإمكان، فإن كان الرسم لا يحتمل أكثر من وجه كُتب بالوجه المخالف للأصل.

٢- إفادة المعاني المختلفة:

٣- الدلالة على أصل الحركة، أو الدلالة على أصل الحرف.

٤- إفادة بعض اللغات الفصيحة.

٥- حمل الناس على تلقي القرآن الكريم مشافهة من أفواه الرجال، وصدور الحفاظ الثقات، فلا يمكن أخذ القرآن من المصاحف وحدها؛ لأن طريقة أداء القرآن لا يمكن معرفتها إلا بالمشافهة.

وفي التلقي مشافهة مزية أخرى؛ وهي اتصال السند بالرسول -صلى الله عليه وسلم- وهي ميزة لهذه الأمة تختص بها دون سائر الأمم.

حكم الالتزام برسم المصحف العثماني:

ذهب الجمهور العلماء إلى وجوب اتباع الرسم العثماني في كتابة المصاحف. وهو الراجح لوجوه:

١- إن هذا الرسم الذي كتب به الصحابة القرآن الكريم حظي بإقرار الرسول -صلى الله عليه وسلم- واتباعُ الرسول -صلى الله عليه وسلم- واجبٌ على الأمة.

٢- أجمع عليه الصحابة لم يخالفه أحد منهم، وكان هذا في عصر الخلفاء الراشدين، واتباعُهم واجبٌ على الأمة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ...".

٣- أجمعت عليه الأمة منذ عصور التابعين، وإجماع الأمة حجة شرعية، وهو واجب الاتباع؛ لأنه سبيل المؤمنين، قال تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}.

٤- للرسم العثماني فوائد مهمة، ومزايا كثيرة، خاصة أنه يحوي على القراءات المختلفة، والأحرف المنزلة، ففي مخالفته تضييع لتلك الفوائد وإهمال لها.

تنبيه:

هناك فرق بين كتابة المصاحف الأمهات وبين كتابة الآيات القرآنية في غير المصاحف.

أما كتابة المصاحف الأمهات: فيجب على المسلم اتباع الرسم العثماني فيها، ولا يجوز لأحد العدول عنه؛ للأدلة والوجوه التي سقناها في تأييد مذهب الجمهور.

أما بالنسبة لكتابة الآيات القرآنية في غير المصاحف: ككتابتها في المؤلفات، وكتب التفسير، والرسائل العلمية، والأجزاء المفرقة من القرآن الكريم التي تعد للتعليم سواء كانت للناشئة أو الكبار، فينبغي فيها الالتزام بالرسم العثماني، وهو الأحوط خروجًا عن الخلاف؛ ولكن لا يجب الالتزام بالرسم العثماني فيها؛ بل يجوز أن تكتب بالرسم الإملائي العصري ولا يحرم ذلك.

❖ **الترتيل وركناه:**

– "الترتيل" لغة: مصدر "رتل" من باب التفعيل، تقول: رتل فلان كلامه أي: أتبع بعضه بعضًا على مكث وتفهم من غير عجلة.

– اصطلاحًا: قراءة القرآن الكريم بتمهل واطمئنان مع تدبر المعاني، ومراعاة أحكام التجويد والوقف.

وقد وردت في مفهوم قوله تعالى: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} وتفسيره أقوال متعددة عن السلف؛ منها: بيّنه. تأنَّ فيه. اقرأه قراءة بينة. وقال علي رضي الله عنه: "الترتيل: تجويد الحروف ومعرفة الوقوف".

أهمية "الترتيل":

تتجلى أهمية الترتيل من قوله تعالى: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} حيث أضافه الله تعالى إلى نفسه تبارك اسمه.

كما تتأكد أهميته من قوله تعالى: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} حيث أمر الله تعالى نبيه –صلى الله عليه وسلم– بالعمل به.

وقد حثَّ الرسول –صلى الله عليه وسلم– على تلاوة القرآن بالكيفية المنزلة بقوله: "إن الله يحب أن يُقرأ القرآن غضًّا كما أُنزل".

ومن فضائل الترتيل أنه: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارتقِ، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها".

حكم الترتيل:

على ضوء ما ذكرنا من الآيات والأحاديث والآثار، نرى جمهور العلماء –عمومًا– والقراء –خصوصًا– يذهبون إلى وجوب ترتيل القرآن الكريم.

وقد ذكر ابن الجزري أثرًا عن ابن مسعود –رضي الله عنه– يتضح منه وجوب التجويد، قال: "جوِّدوا القرآن، وزيِّنوه بأحسن الأصوات".

وقال ابن الجزري: "ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفَهْم معاني القرآن وإقامة حدوده، متعبدون بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها، ولا العدول عنها إلى غيرها".

مراتب الترتيل:

١- التحقيق: وهو القراءة بتؤدة وطمأنينة وتمهل -بقصد التعليم- مع تدبر المعاني ومراعاة الأحكام.

٢- الحدر: وهو القراءة بسرعة مع مراعاة الأحكام.

٣- التدوير: وهو القراءة بحالة متوسطة -بين التحقيق والحدر- مع مراعاة الأحكام.

فكلمة "الترتيل" تشمل هذه الأساليب القرائية الأربعة كلها، ولا يخرج عنها أي نوع منها.

ركنا الترتيل:

١- تجويد الحروف. ٢- معرفة الوقوف.

شرح الركن الأول: "التجويد": (تعريف التجويد لغة واصطلاحا):

لغة: مصدر "جوَّد" يجوِّد، من باب "التفعيل" بمعنى "التحسين"، يقال: جوَّد الرجلُ الشيءَ، إذا أتى به جيدًا ويقال: هذا شيء جيد؛ أي: حسن، والاسم منه: الجودة، وهي ضد الرداءة.

واصطلاحًا: عِلْمٌ بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم؛ من حيث إخراج كل حرف من مخرجه، وإعطاؤه حقه ومستحقه.

حكم التجويد:

العلم بأحكامه وجزئياته فرض كفاية -بالنسبة لعامة المسلمين- وفرض عين بالنسبة إلى رجال الدين من العلماء والحفاظ.

والعمل به ومحاولة تطبيقه في التلاوة فرض عين على كل مَن قرأ شيئًا من القرآن الكريم للتعبد به، سواء في الصلاة أو خارجها.

واضع التجويد:

من الناحية العملية: الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومن الناحية العلمية: قيل: أبو الأسود الدؤلي "ت٩٩هـ"، وقيل: أبو عبيد القاسم بن سلام "ت٢٢٤هـ"، وقيل: الخليل بن أحمد "ت١٧٠هـ".

تدوين علم التجويد:

يعتبر كتابا: العين للخليل، وكتاب سيبويه من أقدم الكتب التي تناولت مباحث التجويد.

كما أن القراء يتداولون مباحثه ضمن مباحث علم القراءات، وتعتبر المنظومة "الرائية" لأبي مزاحم الخاقاني "ت٣٢٥هـ" أولى محاولات التدوين والتأليف في هذا الفن.

ومما أُلِّفَ في علم التجويد:

– الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، لمكي بن أبي طالب "ت٤٣٧هـ".
– التحديد في الإتقان والتجويد، لأبي عمرو الداني "ت٤٤٤هـ".
– عمدة المفيد وعدة المجيد المعروفة بـ"النونية" للسخاوي "ت٦٤٣هـ"٢.
– التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري "ت٨٣٣هـ"٣.
ومن أشهر المنظومات في التجويد: المقدمة لابن الجزري، وتحفة الأطفال للجمزوري.
ومن أهم مؤلفات المعاصرين:
– العميد في علم التجويد، للشيخ محمد علي بسه، وعليه تعليق وجيز للشيخ محمد الصادق قمحاوي باسم "فتح المجيد".
– هداية القارئ إلى تجويد كلام البارئ، لشيخنا الشيخ عبد الفتاح المرصفي رحمه الله تعالى. وكتابه من أنفع الكتب في هذا الفن وأشملها.
– ملخص العقد الفريد في فن التجويد، للشيخ علي أحمد صبره، وهو ملخص مفيد جدًّا.

اللحن:

اللحن لغة: هو الميل عن الصواب إلى الخطأ، ومنه قوله تعالى: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ}.
وينقسم اللحن إلى قسمين:
١– الجلي: وهو ما كان بسبب مخالفة القواعد العربية؛ كاستبدال حرف بحرف أو حركة بحركة، سواء أثر في المعنى بتغييره أم لم يؤثر.
سمي جليًّا لظهوره، ولاشتراك علماء التجويد وغيرهم من المثقفين في إدراكه.
حكمه: التحريم بالإجماع.
٢– الخفي: وهو ما كان بسبب مخالفة قواعد التجويد. وهو نوعان:
أ– ما كان بسبب مخالفة أحكام التجويد المتفق عليها: كإظهار المدغم أو العكس، أو إخفاء المظهر أو العكس، أو قصر الممدود أو العكس ....
ب– ما كان بسبب الخطأ في أمور القراءة الفنية الدقيقة التي لا يعرفها إلا مهرة القراء: كتكرير الراءات، وتطنين النونات، وترعيد الصوت بالمدود والغنات، أو عدم ضبط مقاديرها... وما إلى ذلك من الأمور التي تخص القراء المتقنين.
وسُمي هذا القسم –بنوعيه– خفيًّا؛ لخفائه على كثير من الناس حتى القراء غير المهمرة.
حكمه: حكم النوع الأول منه: أنه حرام؛ لما عرف من وجوب تجويد القرآن.

وحكم النوع الثاني: أنه مكروه، يعاتب فيه على الخواص دون العوام.

مباحث التجويد:

١- معرفة المخارج. ٢- معرفة الصفات. وهذا هو ملخص ما يوجد من الأحكام في علم التجويد.

أ- مخارج الحروف

تعريف المخارج: لغة المخارج: جمع مخرج، وهو لغة: محل الخروج.

واصطلاحًا: محل خروج الحرف وتمييزه عن غيره، أو هو الحيز المولد للحرف.

ب- صفات الحروف:

تعريف الصفات: الصفات جمع: صفة، وهي لغة: ما قامت بالغير.

واصطلاحًا: كيفية عارضة للحرف عند حصوله في المخرج.

الركن الثاني معرفة الوقوف:

الوقف لغة: الكف والحبس، يقال: أوقفت الدابة؛ أي: حبستها.

واصطلاحًا: عبارة عن قَطْعِ الصوت عند آخر كلمة، زمنًا -يقدر بحركتين- يتنفس فيه عادة، بنية استئناف القراءة، لا بنية الإعراض عنها.

ويكون الوقف في رءوس الآيات، أو في أوساطها، ولا يجوز في أوساط الكلمات، ولا فيما اتصل رسمًا، نحو: "أينما، إنما، ألا ... ".

نشأة علم الوقف وأهميته:

الأصل في الوقف ما ورد عن أم سلمة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية، يقول: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ثم يقف، ثم يقول: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ثم يقف، ثم يقول: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} ثم يقف، ثم يقول: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} ثم يقف.

فالوقف والاهتمام به ثابت عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- وكان الصحابة -رضي الله عنهم- يهتمون به عند القراءة، ويتناقلونه مشافهة، ويتعلمونه كما يتعلمون القراءة.

وقد ذكر ابن الجزري أثرًا عن علي -رضي الله عنه- في تفسير قوله تعالى: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} أنه قال: "هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف".

وقال ابن الجزري: "وصح -بل تواتر- عندنا تعلمه والاعتناء به من السلف الصالح ... وكلامهم في ذلك معروف، ونصوصهم عليه مشهورة في الكتب".

وقد حض الأئمة على تعلمه ومعرفته والاعتناء به، واشترط كثير من العلماء على المجيز ألا يجيز أحدًا إلا بعد معرفته الوقف الابتداء؛ لأن به تُعرف معاني القرآن، ولا يمكن استنباط الأدلة الشرعية إلا بمعرفة الفواصل.

أنواع الوقف عمومًا:

الوقف ثلاثة أنواع: ١- وقف الفقهاء. ٢- وقف النحويين. ٣- وقف القراء.

وقف القراء: وينقسم إلى أربعة أقسام: ١- اضطراري: ٢- انتظاري: ٣- اختباري: ٤- اختياري:

كيفية الوقف: كيفية الوقف على ثلاثة أقسام:

١- بالسكون المحض: ٢- بالإشمام: هو ضم الشفتين بعيد الوقف بالسكون.

٣- بالروم: وهو الإتيان ببعض الحركة، وقُدِّر بثلثيها؛ بحيث يسمعه القريب ولا يسمعه البعيد.

الوقف بالإشمام وبالروم يتعلقان بالسماع من أفواه المشائخ المتقنين مشافهة.

بعض الكتب المطبوعة في الوقف والابتداء:

١- الإيضاح في الوقف والابتداء، لابن الأنباري "ت٣٢٨هـ".

٢- القطع والاستئناف، لابن النحاس "ت٣٣٨هـ".

٣- المتكفى في الوقف والابتداء، لأبي عمرو الداني "ت٤٤٤هـ".

٤- المقصد لتلخيص ما في المرشد، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري "ت٩٢٦هـ".

٥- منار الهدى في الوقف والابتداء، للأشموني ".

الفرق بين الوقف والسكت والقطع:

١- الوقف والسكت يكونان بنية استئناف القراءة، والقطع يكون بنية الإعراض عنها.

٢- الوقف والقطع يكونان بالتنفس، ولا تنفس في حالة السكت.

٣- مقدار السكوت في الوقف حركتان، وفي السكت أقل من حركتين.

٤- تستحب الاستعاذة بعد القطع، ولا استعاذة في الوقف والسكت.

قد يطلق "الوقف" ويراد به القطع كذلك.

❖ توجيه القراءات:أو الاحتجاج للقراءات:

"الاحتجاج" لغة: مصدر "احتج" من باب "الافتعال"، وأصله من: الحجة، بمعنى: الدليل والبرهان.

يقال: احتج عليه؛ أي: أقام الحجة عليه.

واصطلاحًا: علم يبحث فيه عن ماهية القراءات ببيان عللها وتوجيهها من حيث اللغة والإعراب.

فـ"الاحتجاج" معناه: تعليل الاختيار وبيان وجهه من حيث اللغة والإعراب.

و"الاحتجاج" يشمل: القراءات المتواترة والشاذة، فقد احتج العلماء لقسميها وألَّفوا فيهما مؤلَّفات.

الاختيار ومفهومه:

اختيار بعض ما رووه من الأحرف دون البعض عند التعليم والإقراء.

أسباب الاختيار:

١- الترجيح بين الروايات، واختيار أشهرها وأكثرها رواة.

٢- التخفيف على تلاميذهم، واختيار ما يناسب بعضهم دون بعض.

ثم توجه القراء واللغويون بعد ذلك إلى بيان علل هذه الاختيارات، وبدءوا يقيمون حججًا لغوية ونحوية عليها يؤيدون بها ما ذهبوا إليه من الاختيار، وذلك الذي أطلقوا عليه فيما بعد اسم: "علم الاحتجاج" أو "توجيه القراءات"، وهذا العلم في الحقيقة يعتبر ثمرة من ثمرات علوم اللغة العربية التي اشتغل العلماء بها خدمة للقرآن الكريم.

نشأة الاحتجاج وتطوره:

يبدو -والله أعلم- أن الاحتجاج للقراءات نشأ منذ وقت مبكر، ويرجع ذلك إلى عصر صغار الصحابة الذين تلقوا القرآن الكريم من كبارهم، وتعرفوا على القراءات المختلفة والوجوه المتعددة للقراءة.

الاحتجاج في عصر الأئمة القراء:

مِن القراء المشهورين مَن هو تابعي، ومنهم مَن هو مِن أتباعهم، وكان علم الاحتجاج معروفًا لديهم كما كان علم القراءات واللغة والنحو معروفًا لديهم ومنتشرًا فيهم.

بواعث الاحتجاج للقراءات:

١- الدفاع عن القرآن الكريم وقراءاته.

٢- تطور الاحتجاج للقراءات بعد تسبيع ابن مجاهد.

التدوين في الاحتجاج:

لقد أُلفت في علم الاحتجاج كتب كثيرة؛ منها:

١- "الحجة في القراءات السبع" بتحقيق الدكتور/ عبد العال سالم مكرم.

٢- كتاب "الحجة في علل القراءات السبع" لتلميذ ابن مجاهد أبي علي الفارسي "ت٣٧٧هـ".

٣- كتاب "حجة القراءات" لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة.

٤- كتاب "الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها" لمكي بن أبي طالب القيسي "ت٤٣٧هـ"، ويعتبر كتابه هذا شرحًا لكتابه "التبصرة" في القراءات السبع.

أما كتب المتأخرين في الاحتجاج، فمن أشهرها:

- "إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر" لأحمد بن محمد البنا الدمياطي "ت١١١٧هـ"، وقد اشتمل كتابه المذكور على ذكر القراءات العشر المتواترة والقراءات الأربع الشاذة مع بيان توجيهها.

أما كتب المعاصرين في الاحتجاج، فمنها:

- "قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر" للمؤلفين: قاسم أحمد الدجوي، ومحمد الصادق قمحاوي.
- "القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب" للشيخ عبد الفتاح القاضي "ت١٤٠٣هـ".

خلاصة ما مر به الاحتجاج من مراحل:

١- الخطوة الأولى: التخريجات والاحتجاجات الفردية لبعض القراءات.

٢- الخطوة الثانية: وتتمثل في الكتب التي ألفت في الاحتجاج، دون تمييز بين القراءات المتواترة والشاذة، من بداية عمل هارون بن موسى الأعور إلى عصر إمام الصنعة ومسبع السبعة ابن مجاهد؛ حيث اتضحت معالم القراءات المتواترة وباتت مميزة من الشاذة.

٣- الخطوة الثالثة: وتتمثل في الاحتجاج للقراءات المتواترة.

صور الاحتجاج للقراءات:

١- الاحتجاج بالإسانيد:

لما كان التواتر -عند الجمهور- وصحة الإسناد -عند البعض- من أهم أركان قبول القراءات وشروطه؛ لذا اهتم العلماء وأئمة القراءات بالأسانيد وطرقها المتعددة، وبالتأكد من صحتها حسب مناهج المحدثين في قبول الأحاديث ومقاييسهم.

٢- الاحتجاج النحوي واللغوي:

إذا أطلق "الاحتجاج" فهو ينصرف إلى هذا القسم منه. ويشمل الخلافات: الأصولية، والفرشية.

❖ القراء العشرة الذين اشتهرت عنهم القراءات المتواترة هم:

١- نافع المدني "٧٠-١٦٩هـ".

٢- ابن كثير المكي "٤٥-١٢٠هـ".

٣- أبو عمرو البصري "٦٨- ١٥٤هـ".

٤- ابن عامر الدمشقي "٨-١١٨هـ".

٥- عاصم الكوفي "ت١٢٧هـ".

٦- حمزة الزيات الكوفي "٨٠-١٥٦هـ".

٧- علي الكسائي الكوفي "١١٩-١٨٩هـ".

٨- أبو جعفر المدني "ت١٣٠هـ".

٩- يعقوب الحضرمي البصري "١١٧- ٢٠٥هـ".

١٠- خلف بن هشام البزار الكوفي "١٥٠-٢٢٩هـ".

والقراء الأربعة الذين اشتهرت عنهم القراءات الشاذة هم:

١- الحسن البصري "٢١-١١٠هـ".

٢- ابن محيصن "ت١٢٣هـ".

٣- سليمان الأعمش "٦٠- ١٤٨هـ".

٤- يحيى اليزيدي "١٢٨- ٢٠٢هـ".

وأبرز الأعلام الذين لهم جهود مباركة في تحقيق علم القراءات هم:

١- ابن مجاهد "٢٤٥-٣٢٤هـ".

٢- مكي بن أبي طالب "٣٥٥-٤٣٧هـ".

٣-أبو عمرو الداني "٣٧١-٤٤٤هـ".

٤- ابن فيرة الشاطبي "٥٤٨-٥٩٠هـ.

٥- ابن الجزري "٧٥١-٨٣٣هـ".

٦- القسطلاني "٨٥١-٩٢٣هـ".

٧- البنا الدمياطي "ت١١١٧هـ".

رحمهم الله جميعًا.